

ابن سلمان يحارب طواحين الهواء.. حكاية خاتم



بقلم: أ. نور الدين برحيلة/ المغرب..

لقد أساء وليّ العهد استخدام "خاتم السُلطة" وهو ما فعله الراعي جيّس كما أشار إلى ذلك الفيلسوف أفلاطون في كتابه "الجمهورية"، غير مُدْرِك لعواقب أوّهام المجد الدونكيشوتي.

بمجرّد إزاحة وليّ العهد محمّد بن نايف، واستحواذ محمّد بن سلمان على "خاتم" ولاية العهد تقول الحكاية والعهدة على الراوي أفلاطون إن الراعي جيّس كان مَثَلاً للأخلاق السامية، مُتواضِعاً، خجولاً، نزيهاً، مُكرِّساً حياته للخير، مُحبّاً للفضيلة، بل إنه الفضيلة تمشي على قدمين، وهذا ما جعله مُقرّاً بـ"محبوباً" للملك كاندوس ملك ليديا. وتشاء الأقدار أن يعثر جيّس على "خاتمٍ سحري" يمنحه قوّة الاختفاء عن الأعين لتتكشف أخلاقه الحقيقية، أخلاق الشر والرديلة والانحطاط.

هكذا سيدخل جيّس القصر المَلَكِي، بعدما منحه "الخاتم" سُلطة الاختفاء، التي حجبته عن عيون الحرس المَلَكِي ليقترحم غرفة الملك، ويقوم بقتله و"خَشَقجته" بطريقةٍ وحشيّةٍ، ويتزوَّج المَلِكَة

الجميلة الفاتنة مُعتمداً على سُلطة "الخاتم" الذي هو كناية عن الأخلاق الميكيفيلية التي تشجّع "الأمير" على المكر والعنف والخداع في سبيل الحصول على السُلطة والمُحافظة عليها.

غداة حصول محمد بن سلمان على "خاتم" ولاية العهد انكشفت بوضوح طموحاته الجارفة وتحوّل من شابٍ خجول وأميرٍ مغمورٍ في عالم السياسة، إلى "سُلطان جائر" يعشق الفتوحات والمُغامرات والبطولات والمؤامرات.

اليوم اتّضحت الصورة بجلاءٍ بخصوص سياسة وليّ العهد محمد بن سلمان، بمُجرّد ما وضع "خاتم جيّس" في أصبعه، تحوّل على غرار الراعي جيّس الذي كان خجولاً مُتواضعاً، قبل حصوله على "خاتم السُلطة" إلى شخصٍ أَرعنٍ لا يستمع إلا لنزواته وصوته فقط، وانجلت طبيعته الحقيقية في التسلّط.

النيران الحارقة التي أضرمها وليّ العهد في مطبخ السلطة في السعودية، وصلت ألسنة لهيبها إلى أقرب المُقرّبين، وبتعبيرٍ دقيقٍ إلى القريب والبعيد والصديق والغريب، بدءاً بإعفاء وليّ العهد السابق محمد بن نايف الذي كان ابن سلمان بالأمس القريب يُقَدِّلُ يده عن طهر كفٍّ، حين كان يحتلُّ المرتبة الثانية في ولاية العهد (وليّ وليّ العهد) وصولاً إلى اعتقاله بمعية عمّه أحمد بن عبدالعزيز، ناهيك عن سلسلةٍ طويلةٍ من اعتقال أبناء العائلة والعمومة والخؤولة. وهنا يتبادر في ذهني سؤال مشروع: كيف سيعامل "أمير" عامّة الشعب وهو يواصل اعتقال أقرب الناس إليه بضميرٍ مُطمئن؟

بمجرّد إزاحة وليّ العهد محمد بن نايف، واستحواذ محمد بن سلمان على "خاتم" ولاية العهد، شرّعَ في تنفيذ العديد من الإجراءات الإصلاحية ضمن ما يُسمّى المشروع التنموي الضخم "رؤية السعودية 2030"، ومن أهمّ هذه الخطوات على المستوى الداخلي، تمكين المرأة السعودية من باقيةٍ حقوقيةٍ مُتَنوّعة، كالحق في الحصول على بطاقة الهوية! والحق في قيادة السيارة -لا قيادة الدولة-، وأهم حق هو الحق في ولوج الملاعب وأماكن الترفيه عن النفس بالسّمَر والسّهَر، والمرونة في قواعد اللباس وغيرها من وسائل الإلهاء عن الإصلاح الحقيقي المُتمثّل في إنجاز المشروع الديمقراطي وبناء دولة القانون والمؤسّسات والكفاءات، وليس دولة الهَيْمَنة والأشخاص والمؤامرات.

من الحقائق البديهية استفحال الفساد في العالم العربي، ومُحاربة الفساد لن تنجح بأدواتٍ فاسدة، وهذا ينطبق على لجنة مُكافحة الفساد التي يترأسها وليّ العهد ابن سلمان، والتي تحوّلّت إلى "هولوكست" لتصفية الحسابات مع الخصوم.

مُحَارَبَةُ الفساد تكتسي مِصداقيَّتها من مبدأ الحياد، وتشكيل لجنة من خيرة القُضاة ومحامين وحقوقيين وخُبراء في القانون والمُحاسبة والاقتصاد وغيرهم من النُخبِ النزيهة، ومَنذَج اللجنة ضمانات دولية لإنجاز مهامها باستقلاليةٍ تامةٍ، من دون وصايةٍ أو تهديدات.

محمَّد بن سلمان يستخدم "خاتم السُلطة" بارتجاليَّةٍ واندفاعٍ غير محسوبي العواقب بطريقةٍ لا تُخطئها العين سيما في السياسة الخارجية، التي تنبني على قواعد الدبلوماسية وقاعدة صفر مشاكل مع دول الجوار وتمتين الروابط مع الأصدقاء لا الأعداء، وهي ركائز السياسة الخارجية الحكيمة التي أخفاها دُخان الحرائق المجانيَّة التي أضرمها وليُّ العهد في الجارة الفقيرة اليمن، ومحاولة فَرَضِ الحِصار الفاشل على دولة قطر وما أفرزه من تدميرٍ لمجلس التعاون الخليجي.

أيضاً محاولة مُمارَسة الوصاية على السيادة اللبنانية، وهنا يحضرنى تصريح المدير المُساعد للمعهد الفرنسي للعلاقات الخارجية والإستراتيجية ديدني بيليون الذي قال في إشارةٍ لواقعةٍ سعد الحريري "إن إرغام رئيس وزراء دولة ذات سيادة على الإستقالة يُظهر محدودية تفكير ابن سلمان الإستراتيجي"، مُضيفاً "إن أميركا لا تتماهى مع مواقف رئيسها دونالد ترامب، لذلك فحسابات وتقديرات ابن سلمان خاطئة حين ظنَّ أن أميركا ستؤيِّد خطواته"، والخطر أن المنطقة تتقاذفها حِمَم بُركانية، ووليُّ العهد مُتورِّط في مآسيها، كتدمير سوريا وتخريب اليمن، ناهيك عن محاولة زلْزلة لبنان، وصولاً إلى صَوِّمَلة ليبيا.

لقد أساء وليُّ العهد استخدام "خاتم السُلطة" وهو ما فعله الراعي جيگس كما أشار إلى ذلك الفيلسوف أفلاطون في كتابه "الجمهورية"، غير مُدْرِك لعواقب أوْهام المجد الدونكيشوتي، وشنَّ الحروب على طواحين الهواء والغَرْق في النزيف والجراحات التي لن تندمل مع الأشقاء وأبناء العمومة ودول الجوار.

المشهد أشبه بأهمِّ عملٍ روائي للروائي الإسباني الكبير ميخائيل دي سرفانتس، إنها رواية "دون كيشوت" حيث يعزم بطل الرواية دون كيشوت القضاء على ما يتوهَّم أنهم أشرار لتتنامى أوْهامه، التي دفعته إلى خوض معركةٍ طاحنةٍ، بُغية ملء القضاء على الأعداء. هكذا سيشرع دون كيشوت في مُبارزة طواحين الهواء، التي رفعتة عالياً وألقت به على الأرض مُهشَّماً مُحطَّماً، ليستفيق من هَوَسِهِ "الوَهْمِي" بعد فوات الأوان.

تُعَلِّمنا العلوم السياسية أن السياسة عِلْم له قوانينه المُنتجة والمُتحركة في الممارسة

السياسية وتدير السلطة، والمُفكِّرة الفرنسية جاكين روس تُرشد الفاعل السياسي أن يعتمد على عقولنة السلطنة والرهان على قوَّة القانون، لا قانون القوَّة، واحترام المواطن ومَوْن كرامته الإنسانية، بل إن ميكيا فيلي الذي فصل الممارسة السياسية عن القِيَم والأخلاق، ينصح "الأمير" أن يُزاوَج بين التظاهر بالقيَم الأخلاقية كالرحمة والعدالة والاستقامة، وألا يُفَرِّط في استخدام القوَّة. وقالها بوضوحٍ "الذي يريد أن يكون أسداً فقط، لا يفهم في السياسة شيئاً".

خِتاماً تراجيديا اغتيال الصحافي جمال خاشقجي، بتلك الطريقة الوحشية، ودَفْع مليارات الدولارات لأميركا كجزيةٍ مُخزِية. خاشقجي مَفْخَرَة العالم العربي وأيقونة الصحافة العربية، لن يكون ثمنه فقط أساطيل النفط والاستثمارات التي تمنح هدية لأميركا، وتقطع من معيش الشعب السعودي الطيّب. الثمن ستكشفه الأيام القادمة، سيما وأن عدد الأبرياء رجالاً ونساءً، شباباً وأطفالاً، من رجال دينٍ صادقين، مُفكِّرين ومُفكِّرات، مُناضلين ومُناضلات، الذين يئنّون ويصرخون في غياهب طُلُحات السجون. حتماً العدالة ستتحقّق.. وهذا أهمُّ درسٍ يُعلّمنا إياه التاريخ.